المستوى: السنة الأولى الطور الثاني التخصص: تاريخ المغرب العربي المعاصر
المقياس: تاريخ موريتانيا المعاصر / السداسي الثاني / 2019- 2020
الأستاذ : العايب معمر

المحاضرة السادسة

فرض الحماية الفرنسية على موريتانيا عام 1903م وردود الفعل الوطنية

تطرقنا في المحاضرات السابقة إلى سياسة مد النفوذ التي اتبعتها فرنسا اتجاه موريتانيا منذ مطلع القرن التاسع عشر ميلادي ورأينا كيف اتبعت فرنسا سياسة المهادنة مع القبائل والإمارات الموريتانية في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي، و هي في ذلك تراعي ظروفها الداخلية من جهة ومن جهة أخرى تحمي مستعمرتها الفتية في السنغال هجمات الإمارات الموريتانية وهي بوابة مشروعها لاحتلال غرب إفريقيا ،فمستعمرة السنغال شكلت أولوية للفرنسيين منذ احتلالها في أواسط القرن 19م ،ولكن في نفس الوقت شكل لهم إحكام السيطرة على الضفة اليمنى لنهر السنغال ، أين توجد مملكة والو الشهيرة بخصوبة أراضيها ،عنصر تحد لها في تنفيذ مشروع الاستعمار الزراعي في مملكة والو واحتكار تجارة الصمع مع الإمارات الموريتانية ،ولأجل تحقيق ذلك غيرت سياستها اتجاه الإمارات الموريتانية منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر ميلادي ويمكن ملاحظة ذلك منذ تعين الجنرال فيدريب حاكما عاما على السنغال واستطاع هذا الأخير.

أولا: السيطرة على مملكة والو وتنفيذ المشاريع الزراعية في المنطقة و إجبار التارزة إلى التراجع نحو الضفة اليسرى لنهر السنغال.

ثانيا: بعد فرضه السلم والاستقرار في المنطقة انطلق فيدريب في تنفيذ خطة استكشاف موريتانيا فأرسل وجهز العديد من الرحلات الاستكشافية تجاوزت 12 بعثة جابت التراب الموريتاني واطلعت عليه وفي العقد الأخير من القرن 19م ، نلاحظ تزايد رغبة فرنسا في إلحاق موريتانيا بمستعمراتها في غرب إفريقيا وهي المهمة التي أوكلت إلى الاستعماري كزافيي كوبولاني الذي استطاع فرض الحماية على الإمارات الموريتانية عام 1903م مثلما سنرى ذلك في هذه المحاضرة إن شاء الله

1- بعثة كزافيي كوبولاني وفرض الحماية على موريتانيا 1903م – 1905م

بمقتضى الاتفاق الفرنسي البريطاني لعام 1890م حصلت فرنسا بمقتضاه على الأراضي الواقعة جنوب البحر الأبيض المتوسط ، وأدرجت موريتانيا ضمنه وهذا يعني اعتراف بريطانيا بالنفوذ الفرنسي في موريتانيا ،لذلك ضمنت فرنسا بأن الاستيلاء على موريتانيا لن تواجهه أي مشاكل من قبل الدول الأوربية وخاصة بريطانيا[1] ،وضمن هذا السياق أوفدت كزافيي كوبولاني لتنفيذ مهمة احتلال موريتانيا.

كان **كزافيي كوبولاني**[2] **Xavier Coppolani** ملحقا إداريا فرنسيا في الجزائر درس العربية والدين الإسلامي والتصوف منه خاصة دراسة معمقة توجها بنشر كتاب عن (**الطرق الصوفية الإسلامية**)[3]،في عام 1898 أرسله الحاكم العام الفرنسي بالجزائر **Trentinan** بمهمة استطلاعية لدى قبائل البيضان وفي السنة الموالية 1899 كلفته السلطات الفرنسية بمهمة استطلاعية في منطقة الحوض لقي فيها نجاحا باهرا توجه بوضع تقريرا اقترح فيه إقامة دولة (إقليم ضمن المستعمرات الفرنسية) باسم موريتانيا الغربية،وأقترح أن يدخل الفرنسيون موريتانيا تحت شعار **" حماية الزوايا المظلومين من بني حسان"**[4].

وعرض مشروع احتلال موريتانيا على الحاكم العام لغرب إفريقيا ولكنه عارض المشروع كما عارضه التجار حتى يحتكرون تجارة الصمغ ويحددوا سعره دون تدخل من حكومتهم، كذلك لم تلقى الفكرة ترحيبا من وزارة الخارجية الفرنسية لاعتبارات دبلوماسية فلم تجد الوزارة في ضم موريتانيا ما يساوي ويعادل غضب كل من بريطانيا وألمانيا واسبانيا الذين كانوا يطالبون بحقوق في المغرب الأقصى، وظلت فرنسا مشغولة عن موريتانيا حتى عام 1905م وذلك لاهتمامها الأكبر كان بالمغرب فعقدت الاتفاق الودي مع بريطانيا عام 1904م ثم الاتفاق الفرنسي الاسباني وركزت فرنسا جهودها على المغرب للاستحواذ عليه[5] .

---

[1] - الهام محمد علي ذهني ،جهاد الممالك الاسلامية في غرب افريقيا ضد الاستعمار الفرنسي (1850م – 1914م)، دار المريخ للنشر 1988،ص 194.

[2] - للمزيد من التفصيل حول شخصية كوبولاني انظر : نور الدين صابر، الدور الاستعماري لـ كزافيي كبولاني Xavier Coppolani في الجزائر و موريتانيا 1866-1905 م،الأطروحة متاحة على الرابط :
http://dspace.univ-tlemcen.dz/handle/112/14247
وأيضا : كزافيي كبولاني والتوسع الفرنسي في المغرب العربي (1866-1905م)،مجلة الحكمة للدراسات التاريخية ،المجلد 05، العدد12، ص ص 112-128. المقال متاح على الرابط : https://www.asjp.cerist.dz/en/article/68864

[3] - كتاب كزافيي كوبولاني حول الطرق الصوفية الإسلامية متاح على الرابط التالي :
https://archive.org/details/lesconfreriesreldepo/page/n8/mode/2up
أو انظر: https://gallica.bnf.fr/ark:/12148/bpt6k81468k

[4] - خليل النحوي ، بلاد شنقيط المنارة..والرباط ،المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس،1987،ص ص 327-328.

[5] - الهام محمد علي ذهني ،المرجع السابق،ص ص 195 – 196.

رغم هذا أصر كوبولاني على لفت نظر حكومته إلى هذه المنطقة ولم ينتابه اليأس فطلب مقابلة رئيس الوزراء الفرنسي فالداك روسو ونجح في إقناعه بمشروع احتلال موريتانيا[6]،وبذلك أصبحت موريتانيا قاعدة للتوسع الفرنسي في البلاد الموريتانية ولإسكات اسبانيا كانت فرنسا قد أبرمت اتفاقا معها سنة 1900م على أن يمتد النفوذ الاسباني إلى الصحراء الغربية شمال الرأس الأخضر.[7]

وكان هدف كوبولاني السياسي الأول هو مسالمة أولاد علوش ومشظوف ،بينما هدفه الثاني هو استكشاف أحوال البيضان الدينية والتعرف على طرقهم الصوفية لاسيما الطريقة الفاضلية المنتشرة في منطقة الحوض ودورها الحياة السياسية نجح كوبولاني في هذه المهمة فرد وزير المستعمرات الفرنسي على هذا النجاح بالكتابة الى الوالي الفرنسي العام بالجزائر في 30 ديسمبر1899م ، بأنه نظرا لنجاح كوبولاني في مهمة البيضان فإن **:" الوقت قد حان لكي نعطي لعلاقاتنا مع هذه القبائل وجهة أكثر اتساقا مع تقاليدهم ومعتقداتهم"** [8] .

وعزز كوبولاني اهتمامه ببلاد البيضان بمهمة ثانية مطلع القرن (1901م) في منطقة الترارزة وقد أخذت السلطات الفرنسية العليا باقتراحاته وكلفته بدخول البلاد ،فمهد لذلك باتصالات ودية مع بعض المشايخ الأجلاء أقنعهم فيها بأن يدخل من نصر المظلوم وردع الظالم وحقن دماء وإيقاف الحروب والغارات وعمليات النهب التي أشتكى منها الزوايا كثيرا ، و يرى المؤرخ خليل النحوى أن كوبولاني وضع علماء موريتانيا وسكانها بين خيارين أحلاهما مر: استمرار الغارات والحروب القبلية مع رفض الاستعمار أو قبول الاستعمار الذي يفرض السلام والعدل[9].

وأخذا الفرنسيون في التمهيد لسياستهم الاستعمارية بقيامهم في مارس 1902م بالتدخل بصورة مباشرة في شؤون البيضان ،حيث قاموا بإنشاء ثكنة مراقبة عسكرية في دكانة ومثل ذلك أول حضور عسكري للفرنسيين في بلاد البيضان ،وفي شهر جوان 1902م صدر مرسوم يعين كوبولاني أمينا عاما لمستعمرات الفئة الثانية مكلفا بقسم الدراسات الإسلامية والصحراوية ، في أكتوبر1902م صدر المرسوم التنظيمي العام لإفريقيا الغربية وفيه تم تعيين كوبولاني حاكما عاما لموريتانيا .

---

[6] - الهام محمد علي ذهني ،المرجع السابق ،ص ص 195 – 196.

[7] - محمد فاضل علي باري وسعيد ابراهيم كريديه، المسلمون في غرب إفريقيا ،تاريخ وحضارة،دار الكتب العلمية،2007،ص 291.

[8] - حسين بن محنض ، تاريخ موريتانيا الحديث من دولة ناصر الدين الى مقدم الاستعمار 1055هـ - 1322هـ / 1645 م – 1905م ، دار الفكر، نواكشط ، موريتانيا ، 2010،ص 272.

[9] - خليل النحوي ، المرجع السابق،ص 328.

قام كوبولاني بوضع تصوره لاحتلال ما أطلق عليه اسم موريتانيا السفلى (الترارزة ، البراكنة ، تكانت ،أدرار) سلميا[10]، فتمكن كوبولاني عام 1902م من توقيع مع أمير الترارزة معاهدة الحماية الفرنسية إلا انه فشل في عقد تلك المعاهدة مع القبائل الأخرى.[11] وتمكن كوبولاني من احتلال البراكنة التي وصل إليها في شهر ديسمبر 1903م وأقام فيها مركزا عسكريا **بألاك** وبعودته من البراكنة انتقل إلى نواكشوط حيث أقام فيه مركزا عسكريا أسند قيادته إلى النقيب **فريرجان**[12] **Frergean** وأقام مركزا عسكريا أخر في كركول وبني سياسته على توفير الحماية لمن يعلن له الخضوع من مجموعات البيضان ومحاربة المجموعات التي تناهضه أو تهاجم القبائل الداخلة تحت حمايته ،ومع تقدم العمليات العسكرية الفرنسية أخذ الوجود الفرنسي ببلاد البيضان يترسخ وفي 18 أكتوبر 1904م تم تتويج هذه الوضعية بمرسوم فرنسي يؤسس إقليم موريتانيا المدني **Territoire Civile de la Mauritanie** وخول كوبولاني سلطة مفوض الحكومة العامة في هذا الإقليم [13].

---

[10] **- حسين بن محنض ،المرجع السابق، ص ص 273- 274.**

[11] **- محمد فاضل علي باري وسعيد ابراهيم كريديه ،المرجع السابق ،ص 291.**

[12] **- انظر مذكرات الرائد فريرجان ،موريتانيا 1903- 1911م ،قصص مغامرات وجولات وحروب في بلاد البيضان ، تقديم وتعليق ديزيري فيمن الكتاب متاح على الرابط التالي :** https://archive.org/details/bedahe_icloud/mode/2up

[13] **- حسين بن محنض ،المرجع السابق،ص 274-275.**

جهز كوبولاني حملة عسكرية لتوغل وسط موريتانيا لاحتلالها لكنه لم يفلح في مهمته فطلب عام 1905م بإحضار قوة نجدة يقودها النقيب **Frergean** فجوبهت بمقاومة يقودها **الشيخ ماء العينين**[14] وهو أحد شيوخ الصحراء الغربية الذي تمكن من صد الفرنسيين ،فأوضاع تكانت وادرار كانت تختلف عن الترارزة والبراكنة حيث اصطدم الفرنسيون بمقاومة عنيفة من زعماء المنطقة وظهر الكثير من أبطال المقاومة أمثال أحمد بن الديد ولد عساس وبكار ولد أسوف أحمد وسيدي أحمد ولد عيده ونجح المقاومون الموريتانيون في وضع حد لتقدم التوسع الفرنسي ودفع كوبولاني حياته لتدخله في المنطقة حيث بالقرب من تيجيقجه حيث هاجمته جماعة الموريتانيين من طرف فرق مولاي الزين الصغير وذلك شهر ماي 1905م،فلم يكد خبر مقتل كوبولاني يعرف في سان لويس حتى عين خلفه المقدم **مونتانيه كاب دوبوسك Montane Copdebosc** الذي كان قد وصل إلى تجيكجه يوم 24 جوان 1905م وعمل على تنظيم المنطقة والقضاء على الاضطرابات فيها [15].

---

[14] - **الشيخ ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل القلقمي، ولد في الحوض الشرقي، موريتانيا يوم الثلاثاء 27 شعبان1246 هـ، أخذ عن والده القرآن والعلوم الشرعية واللغوية كما تأثر به في جانب التصوف، ارتبط اسمه بمقاومة الاستعمار الإسباني والفرنسي، أسس مدينة السمارة بالصحراء الغربية وقف ضد تحالف سلطان المغرب مع الغزاة ، وجدت فرنسا وإسبانيا صعوبة في اختراق موريتانيا والصحراء الغربية بفضل مساندة الشيخ ماء العينين للمقاومة. توفي الشيخ ماء العينين ليلة الجمعة 17 شوال عام1328هـ الموافق 25 أكتوبر/تشرين الأول .1910 ينظر :** https://www.marefa.org

[15] - **حول تفاصيل أكثر لظروف مقتل كزافيي كوبولاني ينظر: النقيب غاستوف دوفور ، تاريخ العمليات العسكرية في موريتانيا ق 17م – 1920، تعريب المقدم ولد محمد ولد بيه ، الطبعة الأولى ، مكتبة القرنين 21/15 للنشر والتوزيع ، نواكشوط ، موريتانيا ،2012، ص ص 79-85 وما بعدها.**

2- مراحل الاحتلال الفرنسي لموريتانيا :

حسب الباحثة **الهام محمد علي ذهني** أن الاحتلال الفرنسي لموريتانيا تطور عبر ثلاث مراحل هي كتالي:

- **المرحلة الأولى 1900م – 1905م**

وهي مرحلة التغلغل السلمي وقد بدأت بقدوم كوبولاني إلى موريتانيا وتم وضع لجنة لدراسة خطة ربط الجزائر بمستعمرات فرنسا في غرب إفريقيا وكان لابد من وضع يد فرنسا على موريتانيا ،وجاء في تعليمات رئيس الوزراء الفرنسي بأنه ينبغي تحقيق هذه الأهداف بأقل النفقات ودون إثارة أزمات دبلوماسية ، ورغم من أن هذه المرحلة اتسمت بالتغلغل السلمي إلا أن هذا لم يمنع من حدوث بعض الاضطرابات من طرف المقاومين الموريتانيين وخلال هذه المرحلة استطاع كوبولاني من عقد معاهدة حماية مع كل من أمير الترارزة والبراكنة ، هذا النجاح أغرى كوبولاني في التوسع فيما وراء هاتين الأمارتين في إقليمي ادرار وتكانت، وقد اختلفت الأوضاع في تكانت وادرار عنها في مناطق الترارزة والبراكنة فقد اصطدم الفرنسيون هناك **بمقاومة وطنية عنيفة وظهر الكثير من أبطال المقاومة من أمثال أحمد بن الديد ولد عساس وبكار ولد أسوف احمد وسيدي احمد ولد عيده وقد نجحت هذه المقاومة الوطنية في أن تضع أمام التقدم الفرنسي حدا** ، ودفع كوبولاني حياته ثمنا لتدخله في المنطقة فقتل أثناء ذهابه في فرقة استطلاعية بالقرب تجيقجه حيث هاجمته فرقة مولاي الزين الصغير وهو احد أتباع الشيخ ماء العينين وذلك شهر ماي 1905م ،واعتبر هذا الحادث نهاية لمرحلة التغلغل السلمي [16].

- **المرحلة الثانية : (1905م – 1914م).**

بعد اغتيال كوبولاني خلفه في المنطقة قائد عسكري أخر وهو **مونتانيه كاب دوبوسك Montane Copdebosc** الذي وصل إلى تجيقجه وعمل على تنظيم المنطقة والقضاء على الاضطرابات فيها وقد ظهرت عدة اراء حول مستقبل حول مستقبل المنطقة فظهر اتجاه بالانسحاب منها وسحب المواقع التي انشئت لدى الترارزة والبراكنة ، ولكن انصار التوسع العسكري رفضوا هذه الخطة وذلك لانها ستؤدي الى جمع شمل القبائل الموريتانية تحت لواء زعماء المقاومة ممايشكل خطرا على السنغال وأخذت الحكومة الفرنسية برأي العسكريين وعملت على تنفيذه، وكلف Montane Copdebosc على البحث وتقصي الحقائق حول مقتل كوبولاني وعلم بان زميله قد قتل بتحريض من الشيخ ماء العينين وبمساعدة أحمد ولد عيده أمير ادرار.

---

[16] - **الهام محمد علي ذهني ، المرجع السابق ،ص ص 197- 198.**

وفي عام 1908م أصبح الكولونيل **جورو Gouraud** [17]،مفوضا عاما في موريتانيا وكان من أنصار التوسع العسكري ولذلك رأى ضرورة الاستيلاء على تكانت لذلك بنى حصن Akjouht عام 1908م وأثار العمل هذا أمير ادرار احمد ولد عيده ،فقام بتهديد الحصن ،وأرسل الشيخ ماء العينين قواته فهاجمت الفرنسيين في Damane جنوب حصن أكجوشن وأعلن الشيخ حسنه وهو احد أبناء ماء العينين الجهاد ضد الفرنسيين و الموريتانيين المتعاونين معهم، نتيجة لذلك اتخذت فرنسا خطوات حاسمة للسيطرة على الوضع ،فتم احتلال ادرار .

أرسل جورو حملة عسكرية عام 1908م لاحتلال المنطقة ودامت الحملة عشرة أشهر من ديسمبر 1908م حتى أكتوبر 1909م ،وتعرضت الحملة لهجمات من الشمال والجنوب فهاجمها الطوارق من الشمال والموريتانين من الجنوب وتكبدت القوات الفرنسية خسائر فادحة ،رغم ذلك استطاع جورو الاستيلاء على اطار عاصمة ادرار ،وتراجعت قوات الشيخ ماء العينين نحو الشمال لتعيد تنظيم نفسها استعدادا لتنظيم هجوم جديد ،ولكن جورو كون حملة ثانية من 500رجلا وترك اطار واستعد للهجوم على ماء العينين مرة أخرى فاضطرت قوات ماء العينين للانسحاب إلى الساقية الحمراء ووادي الذهب،وعمل الفرنسيون على تنظيم موريتانيا واستولت القوات الفرنسية على تشيت Tichit الواقعة شرق تكانت وتم اسر أمير ادرار أحمد ولد عيده الذي سبب للفرنسيين الكثير من المتاعب [18].

بعد وفاة الشيخ ماء العينين عام 1910م خلفه ابنه الهيبة في قيادة المقاومة وعمل هو الأخر على مقاومة الفرنسيين وواصل هجماته على الحصون الفرنسية حتى بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، ويعود سبب تعثر الفرنسيين في إخضاع شمال موريتانيا إلى أن الاسبان لم يسمحوا لهم بتتبع المقاومين من أتباع ماء العينين في منطقة النفوذ الاسباني فكثيرا ما كان زعماء المقاومة يلجئون إلى الساقية الحمراء ووادي الذهب ، لكن بعد استيلاء فرنسا على المغرب وإعلان الحماية عليها عملت على إرسال الحمالات العسكرية من الشمال الإفريقي وضربت حصار على المقاومة الموريتانية من الشمال والجنوب[19]

---

[17] - هنري جورو ضابط عسكري فرنسي كتب مذكراته حول المهمة والعمليات العسكرية التي خاضها في منطقة ادرار للمزيد انظر :

Colonel Gouraud, La Pacification de la Mauritanie, Journal des Marches et Operations de la Colonne de l'Adrar, Comite de la l'Afrique Française, paris Voir le lien : https://gallica.bnf.fr/ark:/12148/bpt6k57844898/f6.image.textelmage

[18] - الهام محمد علي ذهني ، المرجع السابق ،ص 201.

[19] - نفسه ، ص 203.

- **المرحلة الثالثة 1914م – 1934م**

تزعمت المقاومة الموريتانية المسلحة طوال هذه الفترة قبائل الرقيبات وبن دليم ورغم إعلان أولاد دليم استسلامهم للنفوذ الفرنسي في عام 1918م وكذلك استسلام احد أبناء الشيخ ماء العينين عام 1919م إلا أن تعسف الإدارة الفرنسية وفرضها الضرائب على القبائل أدى إلى حدوث ثورات واضطرابات في موريتانيا لم تنقطع إلا بعد عام 1934م، وبالاستيلاء على موريتانيا حققت فرنسا حلمها وهدفها التوسعي واستعملت مخططاتها العسكرية وبدأت خطوة أخرى تمثلت في تجميع مستعمراتها في وحدة واحدة تسهل عليها إدارتها وإحكام قبضتها عليها.[20]

[20] - **الهام محمد علي ذهني ، المرجع السابق ، ص ص 203 – 204.**